البيِّنات الجليَّة

على

نفاق الطغمة اليسوعيَّة

لعثمانيٍّ حرٍّ عرف الحق والحق حرَّرهُ

طبع في بيروت سنة ١٨٨٤

بسم الله الواحد القهَّار

يدٌ اتخذت خدمة الامة ديدنًا ومذهبًا . ومناصبة اعداء العدل والنور والانسانية يقينًا ومشربًا . ترتفع مع العينين الى السماء مستعينةً بالله داعيةً للسلطان. وتقبض على القلم قبض الفاس لقطع الكذب والبهتان. خطت مقالاتٍ اوجب نشرها بشير جنس الجزويت المنبثّ في القوم . ولا يخرج منهُ الاَّ بالصلاة والصوم

اما اليد فهي يد عثماني عرف الحق فما انكرهُ والحق حرَّرهُ . وعلم ان الماسونية لاتقابل الاعداء الاَّ بالاحتقار والاستخفاف والاستهزاء. وايقن ان "الجزويت" طغمة مفسدة للامة. فارسل عليهم هذه المقالات شهبًا . تمزق من ظلماتهم حُجبًا وحُجبًا. تصدر تباعًا وتسير سراعًا حتى يعرف الناس ما في اليسوعية وما في الماسونية وينهتك ستر الجزويت في سورية كما انهتك في اقطار الكرة الارضية

ع . عثماني

البينات الجلية

على نفاق(١) الطغمة اليسوعية

المقالة الأولى

في مساوئ الطغمة اليسوعية وكرم اخلاق الجمعية الماسونية

"ان احبكم اليَّ احاسنكم اخلاقاً الموطئون اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون"

قال بعض الحكماء لايميل الى الجلَبة واللجاج الا من عجز عن الغلبة بالحجاج. واللبيب خبير ان الهجو والذم سندُ المفتري الكاذب والطعن والثلب حجة المحنوق المغلوب الذي يبهرهُ الحق ويسدُّ عليهِ طرق الاستدلال فيطلق لسانهُ بالاقوال البذية ويدير قلمهُ في الطعن على اعراض الافاضل والقدح في صفات المناضلين عن الحق ليُسكن ما يهيج في صدرهِ من الحنَق والغيظ ويُخمد ما يتقد في نفسهِ من نيران الاثم والشرّ. والعاقل يسلّم ان القدح والذم وثلب اعراض الناس منكرات لا يأتيها الا من سقطت حجتهُ وضعف عقلهُ وقلَّ ادبهُ وساءت اخلاقهُ فاعمت الشهوات بصيرتهُ وتغلبت اهواؤُهُ الفاسدة على ارادتهِ. ومما يؤيد لهُ ذلك استقراء تاريخ الجدَل والمناظرة في الدين والعلم والادب حيث يتضح باجلى بيان ان صاحب الحق المؤدب سيرةً المخلص سريرةً لايترك الحجج الدامغة والادلة القاطعة والشواهد الساطعة وليعتصم بالقدح والذم وثلب الاعراض. وانما يفعل ذلك المتمادي في الزور والبهتان فيكثر من الشغب والجلَب والتهديد والوعيد فرارًا

(١) النفاق في الدين ستر الكفر بالقلب واظهار الايمان باللسان

من وجه الحق وايهامًا للبسطاء بصدق دعواهُ اذ انهُ بل بكثرة الالفاظ قد يؤثر في نفوس الجهّال ولو أثار الهزء والاحتقار في نفوس العقّال. ولهذا ترى الذين رسخت قدمهم في العلم وطال باعهم في ابواب المناظرة والجدال يعرضون عن منازلة المدَّعين العلم ادعاءَ المناضلين بالقدح والذم عوضًا عن الحجة والبرهان ويسدُّون آذانهم عن سماع قذفهم ونقر بعهم تنزيهًا لمسامعهم عمّا يشين الآداب وحرصًا على مقامهم بين الفضلاء واحتقارًا لما يأتيهِ خصمهم من الاقوال الفارغة والافعال المنكرة

فاذا تدبَّر القارىءُ اللبيب ما تقدَّم واطلع على ما هو جارٍ في البلاد ولاسيما مدينة بيروت تحقق صدقهُ اجمالاً وتفصيلاً على بشير اليسوعيين في طموح بصرهِ الى القدح في من هو دونهم قدرًا فلا ينال منهم منالاً. لانَّ هذه الجريدة (وهي ان عُدّت الجرائد كانت بينها سقطًا) لم تخرج عن الخطة المنكرة التي ابتنا انها خطة الانذال في كل ما تعرَّضت لهُ من بحث وجدال ونزال ونضال. فلمَّا تحققت انهُ ليس لها في الخير اسمٌ رفعت لها في الشر علمًا فما برحت منذ نشأتها حتى الساعة تتعرَّض لصدّ كل مسعًى خيريّ في الوطن والطعن على كل فاضل اشتهر في خدمتهِ وذاق طعمَ الحرية فلم يذلّ عنقهُ لنير اليسوعية. ولما كان غرض اليسوعية في هذه البلاد شبيهًا بغرضها في سائر البلدان وهو اثارة الفتن وتعزيز اركان الفساد لغاياتٍ شتّى نتضح معنا في ما يلي من المقالات انشأوا هذه الجريدة وانتدبوا لتحريرها انشط من أُشرب هذا الروح منهم واجرأهم على مناقضة الحق والتظاهر بالدين وادهاهم في اساليب المكر والاختلاق واقواهم على سلب الراحة والقاء عصا الشقاق. وسنّوا لهم سُنّةً يجرون عليها في إثارة الفتن وسياسةً لا يخرجون عنها اذا المّت الملمّات

فترى البشير اذا رام الفتك باحدٍ من عباد الله لامر شريفٍ اشتهر فيهِ ينصب اولاً شرك المكر والاحتيال ويروغ من ورائهِ تارةً بمدح الرجل واستحسان عملهِ وطورًا بالملامة والعتاب وفتح ابواب السؤال والجواب. ثمَّ اذا جازت على الرجل هذه الحيلة وحاول ابانة قصدهِ والتبرؤ مما اتهم بهِ انقضَّ البشير عليهِ باختلاق

ما تسوقهُ اليهِ السليقة واستنباط ما يبتدعهُ ذهنهُ الوقّاد من التهم والاكاذيب وبادر في الحال الى القاء سترة الدين على ما نصب من الشراك ودبَّر من الحيل وحلّاها باقوال الانبياء والقديسين ووشّاها بآيات من التوراة والانجيل حتى اذا رآها البسطاء وقفوا حيارى متذللين وعادوا خاشعين متصدعين وصدّقوا ان الذي وقع في شرك اليسوعيين كافر لا يؤمن بالله ولا يصدّق بالدين. وقانا الله غدر المخاتلين ومكرَ المنافقين. فاذا ابى خصمهم ان يكون لهم فريسة يذهب بها غانمهم غنيمةً باردة وآلى على نفسهِ ان يرفع ذلك الغطاء ليري الجهلاء ما استتر تحتهُ من المكر والدهاء سلق اليسوعيون عرضهُ بالسنة حداد وشددوا عليهِ التهمة بالكفر والفساد وابرقوا وارعدوا ورموهُ بصواعق اللعنة وسكبوا عليهِ جام النقمة ونادوا قوات السماء لتقطع نصيبهُ من النعيم واستغاثوا بقوات الهلاك لتفتح له ابواب الجحيم وكل ذلك ليحولوا خصمهم عن كشف اخاديعهم ويهولوا على الجهّال. كما تتلوّن الحيوانات وتتغير من حالٍ الى حالٍ اذا قابلت عدوّها تخويفًا له فاذا خافها سلمت واذا لم يخفها ولّت وأدبرت. واذا انسوا عند ذلك بالخوف والذلّة من خصمهم ادّعوا انهم اذلوهُ بقوّة الحق وارهبوهُ بالسلطان السماوي المعطى لهم. واذا رأوا منهُ قوّة العزم والثبات وسداد الحجّة ومضاء البرهان ولّوا الادبار من ميدان النزال وتردّوا برداء الصبر والاتضاع وبادروا الى تلاوة الآيات من التوراة والانجيل والنداء بانهم دعاة البرّ الهادون الى سواء السبيل وانهم يتباهون بالتقوى لا بسمو العقل وقوة البرهان ويفاخرون بخدمة الله لا بالبراعة في البراعة والجدال. واذا اثبت عليهم خصمهم انهم جواسيس اهل السياسة ومثيرو الفتن والخصام وحجّهم بطرد اهلهم ودولهم لهم من بلادهم ونبذ اخوتهم منهم اجابوهُ بقول السيد المسيح "طوبى لكم اذا طردوكم وعيّروكم وقالوا عليكم كل كلمةٍ من اجلي كاذبين" زاعمين ان مجرّد تكرير الآيات يدفع الشبهات ويرفع الاوزار ويمحو الذنوب. واذا اثبت نفاقهم واستفزتهُ حمية الحق عند وقوفهِ على مكرهم فقال الويل لكم ايها اليسوعيون المراؤون الذين يعوجّون سبل الآداب المستقيمة ويأكلون بيوت الارامل ويدينون

البشر ويقضون عليهم بالهلاك وينظرون القذى الذي في عين اخيهم ولا يفطنون الى الخشبة التي في عينهم قالوا أنَّا أُعطينا مفاتيح السموات لنحلّ من نحلُّ ونربط من نربط . فيتلاعبون بآيات التوراة والانجيل ويحولونها عمّن تصدق عليهم الى من لا تصدق عليهم كما حولوا السُّنن الادبيَّة لنقض الوصايا العشر الالهية على ما سيجيء مفصلاً في محلهِ زاعمين ان محاولاتهم السوفسطائية وتلوُّناتهم اليسوعية تجوز على عقول جميع الناس فيغترّون باقوالهم ويصدّقون بتدينهم واتضاعهم كما يغترُّ بهم صبيان مدرستهم

فهذه سياسة البشير التي لم يَحِد عنها منذ النشئ الى اليوم . وشاهد ذلك جميع المناقشات والمباحثات التي جرت بينهُ وبين غيرهِ من ايام النشرة الاسبوعية البروتستانية التي كشفت الحجاب عن مكايد اليسوعية الى هذه الايام . فلو راجعت مناقشاتهِ هذه لرأيتهُ يتعرض اولاً بالذم في معرض المدح والمدح في معرض الذم ثم باختلاق التهم والاكاذيب على خصومهِ ثم باتهامهم بالكفر ومناقضة الدين جاريًا في ذلك كلهِ على ما وصفناهُ آنفًا . ولو راجعت اقوال مناظريهِ لرأيتهم يقولون قولاً واحدًا وهو ان البشير يفخر بالاقوال الفارغة ويعتمد على الكذب والاختلاق ويكثر من الذم والطعن والتسخُّط واللعن ويروغ من وجه الدليل ويكرهُ البرهان فلا يأتي بمعنى يقنع العاقل بل يقتصر على الجلبة وتعظيم الدعاوي ليوهم الجاهل

فكأني باليسوعيين يجهلون — بل يتجاهلون — ان رفع الصوت والطعن واللعن لا تجدي شروى نقير" ولو نيل خيرٌ برفع الصوت لادركهُ ...." وان التسخُّط وتشديد النكير لا قيمة لها عند اصحاب العقول ولا يجعلان البطل حقًا ولا الخطأ صوابًا " انَّ الصواب في الأسدّ لا الأشدّ". وهل هذه قيمة ابناء الوطن في عيونهم حتى يريدوا اقناعهم بالمحال ويزعموا انهم ينقادون الى ترهاتهم انقياد العمي لا يطالبونهم بدليل ولا يرومون منهم برهانًا . فليعلموا ان ابناء الوطن ليسوا دونهم نباهةً وادراكًا وانَّ كونهم افرنجًا لا يرفع قدرهم في عيون العقال

فالافرنج انما استقوا العلم والادب من بحر العرب الكرام . وانّ اولاد وطننا لا يغترّون بالاقوال ان لم تطابقها الافعال بل يقدّرون قيمة المرء بعقلهِ وحسن فعلهِ كما يقدرون قيمة الشجرة باثمارها الجيدة وانهم لا ينخدعون ببساطة الظواهر بل يحترسون من الانبياء الكذبة الذين يأتونهم بثياب الحملان وهم من داخل ذئاب خاطفة . ولا يأتمنون هذه الحملان الظاهرة — بل الذئاب الباطنة — على انفسهم وعيالهم بعد ان اشتهر غدرهم بين ذوي قرباهم وابناء بلادهم حتى طردوهم وعفوا من بينهم رسومهم وآثارهم تخلصاً من مفاسدهم وحذرًا من فتنهم ودسائسهم

انّ الافاعي وان لانت ملامسها عند التقلّب في انيابها العطبُ

ولاحرج فكل دولةٍ دخلت الطغمة اليسوعية بلادها تراقبها بعين ساهرة ولا تأمن غدرها لكثرة ما نال الدول من مكايدها كما سيجيء في كلامنا على دسائس اليسوعية . وكلُّ تقيّ خائف الله يحذرها وكل ذي نفس ابيّةٍ وحميّةٍ وطنيّةٍ يعارضها في دسائسها اذ قد اشتهر وذاع وملأ الآفاق والاسماع انها الطغمة الزارعة الخصومات بين الاخوة الباذرة بذر الشقاق في العالم المقطّعة عُرى الوطنيّة الممزّقة احشاء هيئتنا الاجتماعية . وحسبنا شاهدًا على ذلك ان الطوائف قديمة العهد والاتفاق في وطننا ورؤساء الاديان كانوا على اتم المسالمة مع كثرة عددهم وتقادم عهدهم والرهبنات الوطنيّة والاجنبيّة عديدة عندنا ولم يحصل ما يكدر صفاء كأس الوطنية او يقلق الراحة الاهليّة حتى حلّت اقدام الطغمة اليسوعية في هذه البلاد فابتدأت الحرب العوان واشتدّ النزال والطعان . وسيجيء عليك ايها القارئ اللبيب في المقالات التالية ان هذا دأب الطغمة اليسوعية حيث حلّت وان اثارة الفتن عادة قد تمكنت فيها فلا تستاصل منها الاّ باستئصالها . ولهذا لا تعجب اذا علمتَ ان اسم اليسوعي مرادف عند الافرنج لكل مذمة وصفةٍ وخيمة فاذا قيل لاحدهم "يا يسوعي" عدَّهُ اعظم مذمّةٍ لتضمّن هذا اللفظ معاني النفاق والكذب والتحيل والمكر والفتك والغدر والدسيسة والشقاق وما رادفها

ويتبيّن لك صدق ماذكرنا من سياسة البشير وما اثبتتهُ التواريخ عن صفات

اليسوعيين واطلاق الافرنج لاسمهم على المعاني المعدودة آنفًا من دعاويهم الطويلة العريضة على الجمعيَّة الماسونية الحرَّة والتهم الكاذبة التي يتهمونها بها والشراك التي ينصبونها لها . ومع انهم قد اعتادوا البغي على الماسونية منذ زمان طويل وجعلوا القذف فيها وثلب اعراض اعضائها دينًا لهم وديدنًا لا يجدون عنهُ فقد اعادوا الكرَّة هذه المرَّة بالفاظ تمجُّها الاسماع وتنبو عن وخامتها الطباع . وصالوا في الاعتداء والظلم وطالوا في الكذب والاختلاق واكثروا من اللعن والشتم حتى كأنَّ البشير مجتمع اقوال ذَفِرة وملجأ آداب قَذِرة وكأنَّ ماء الحياء نضب من وجههِ (ومَن لا حياء له فلا ايمانَ لهُ) فلا يطالعهُ مطالع مؤدب الَّا استنكف مما فيهِ من الوقاحة والاستطالة على اعراض الفضلاء وارتدَّ عنهُ وهو يقول

والصخرُ هشٌّ عند وجهكَ في الوقاحه

ومن غريب وقاحتهِ وعجيب جهالة انصارهِ المستأجرين على خيانة الوطن والغدر بالامة انهم ينادون على رؤوس الملاان الماسونيَّة جمعيَّة سريَّة مبادِئها خفيَّة وغايتها غير معلومة ثم يتهمونها بانها جمعية غايتها ابطال الدين واقامة الكفر في العالم وثلُّ عروش السلاطين وتقوية الجور والاستبداد . وهي لعمر الحق تهمة اكذب من ان تكذَّب . فما من عاقل الَّا ويعلم ان الجمعية الماسونية جمعية ادبية خيرية غايتها الوحيدة عمل الخير لرفع شان البشرية كما تامرنا بهِ كل ديانةٍ حقيقية واعظم شرط من شروطها ان لا تتعرَّض مطلقًا لدينٍ من الاديان ولا لسياسةٍ من السياسات. وغايتها ظاهرة غير خفية وقوانينها مطبوعة يصل اليها من شاء الوصول اليها وانما المستور منها الاشارات التي يُعرَف بها الماسونيُّ من غير الماسونيّ. وَهَب ان الماسونية كانت خفيَّة الغاية والقوانين وسريَّة في كل احوالها فلا محلَّ لادنى تهمةٍ عليها مادامت ابوابها مفتوحة لدخول كل مهذَّب اديب فاضلٍ اليها. ففيها يشترك اهل الاديان على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم وفيها يشترك ارباب السياسة على اختلاف مشاربهم واميالهم واحزابهم . وفيها الملوك والامراء والشرفاء والعظماء والعلماء والفلاسفة واللاهوتيون ورؤساء الاديان والخوارنة والرهبان

وعدد اعضائها في العالم الوف الالوف وعشرات الوف الالوف فيجتمعون كلهم اخوة لقضاء الغاية الصالحة المجمعون عليها وهي خدمة البشرية لرفع شأنها وينسون فيها احزابهم واختلاف اميالهم واغراضهم ويشتركون في عمل الخير. فلو صدق قول اعدائها اليسوعيين لوجب ان يكون الملوك عمّالاً على نقض ملكهم بيدهم وعلى اهلاك انفسهم بانفسهم. وهو حكمٌ لا يصدر عن عاقل ولا يصدق به الاّ مجنون. ولو صدق قولهم ايضاً لوجب ان يكون كل اولئك الالوف عمّالاً على ابطال الدين وان يكون الخوارنة والقسوس سعاةً في خراب رعيانهم وملاشاة الدين الذي يعلّمون به وان يكون الرهبان عمالاً على ملاشاة رهبناتهم واضمحلال الطوائف التي يرومون عضدها وبقاءها. وهو لعمرك قول اغرب من سابقه

الآن هذا ليس محلُّ الثناء على الجمعية الماسونية وكشف مفاسد الطغمة اليسوعية فنرجئُ ما عندنا في ذلك الى وقته ونلزم ما نحن فيه من بيان مكارم اخلاق الماسونية وسوء اخلاق اليسوعية

اذا امعن اللبيب نظرهُ في كلام البشير على الماسونية وجد انهُ ليس اسهل من الرد عليه لخلوهِ من كل حقيقة راهنة ومن كل شاهد عقليّ او نقليّ واقتصارهِ على الطعن والذم كما قدَّمنا ممّا يدلُّ دلالةً قاطعة على الخروج عن دائرة الحشمة واللياقة. فلو كانت طباع الماسونيين ترتاح الى شيء ممّا فيهِ رائحة الطعن والشتم وقلّة الادب لاستأجروا اثنين او ثلثة من ولدان الازقّة كانصار البشير ورُسُله الصاعين من كل لفظ بذيٍّ وقول قبيح وتهمة كاذبة ودعوى مختلقة. ولكانوا تشبّهوا باليسوعية فيما اقترفت من الذنوب اذ لعنت الماسونيين خلافاً لقول المسيح باركوا ولا تلعنوا ودانتهم وقضت عليهم بالهلاك خلافاً لقولهِ لا تدينوا لكي لا تدانوا لانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم. واثارت عليهم البغض والفتن ظلماً وعدواناً (حال كون الماسونية لا تعادي احداً) فخالفت قول الرسول سالموا جميع الناس. وشهدت عليهم زوراً بانهم يكفرون بدين الله ويحضون على الثورة خلافاً لقولهِ تعالى لا تشهد بالزور

واما الماسونية فقد قابلت كل تعدّيات اليسوعيين بالفضيلة والشهامة وكرم الاخلاق اذ هي اقدر منهم في كل امرٍ صالح لانها في جانب الحق والحقُّ يعلو ولا يعلى عليهِ فقد احتملت هجماتهم العنيفة بالصبر والصمت ولم تفتح فاها ولم تسعَ للخصومةِ ولا للشرّ . وهي لا تزال — كما كانت — غير حاقدةٍ على اليسوعيين ولا مضمرة لهم سوءا . وتودُّ من صميم فؤادها لو اغتسل اليسوعيون من وَضَر الاثم والنفاق وساروا في العالم بالمحبة والاخاء . ولا تكرهُ منهم الاَّ افعالهم الشريرة ومكرهم وخبثهم ودسائسهم ولكنها تحبهم لكونهم مشتركين معها في الجبلة البشرية اتماماً لقول السيد المسيح احبوا اعداءكم وباركوا لاعنيكم لانهُ ان احببتم الذين يحبونكم فايُّ اجرٍ لكم . وهي اقرب الناس الى معاضدة اليسوعيين على كل خدمة وطنية صادقة وعلى كل عملٍ من شأْنهِ رفع شأْن الانسانية وترقيتها في مراتب الكمال . ولكنها ابعدهم عن موافقة اليسوعية على دسائسها السياسية والسكوت عن حيلها الخفية اذ الماسونية لا تقتصر على عمل الحق بل تحارب ايضاً الاثم والشرّ جاعلة دستورها الدستور الذهبي المشهور وهو قولهُ . فكل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم

هذا ولم نقصد بهذه المقالات الردَّ على ما يأْتي بهِ البشير من الترهات لانّا واثقون ان ما يختلقهُ على الماسونية من الاكاذيب لا يضرُّ بها وان سيف الحق في يدها فهيهات ان تثلمهُ عصا اباطيل البشير ولكنَّ الفرصة قد حانت لتنبيه الغافلين من ابناء الوطن من سِنَة غفلاتهم فان وطنهم امسى في خطرٍ ونشفق ان تعبث بهِ دسائس البشير . فالقصد من هذه المقالات خدمة الامة والوطن اذ قد تحققنا — علاوةً على ما رأينا من مطابقة دسائسهم هنا لدسائسهم في البلدان الأُخرى — ان اليسوعيين جواسيس سياسة وبوائق غدرٍ في البلاد التي امنتّهم على نفوسهم واموالهم حين طردهم اقرباؤُهم وانسباؤُهم واهل بلادهم . وكفى العاقل ادلةً على ذلك نسق تعليمهم للصبيان ومشرب اتباعهم ومنح احتفالاتهم مقابلةً للمدد المتوارد عليهم . والناقد البصير يرى ما وراء ذلك كلهِ من دواعي الخوف والقلق ولا سيما

لانّ هذا معهود ومشهور ومقرر عنهم ومأثور

فلذا رأينا من الواجب علينا ان نكشف الحجاب عن حقيقة هذه الطغمة المدّعية الصلاح والمشهورة بعكسهِ ليحيط ابناء الوطن بها علماً وليكون ذلك مقدمةً لمن يريد ان يخدم وطنهُ بتعريب الكتب المعربة عن حالها كما ظهر وتقرر في البلاد التي عرفت فيها . فيراها حينئذٍ العاقل والجاهل كما هي وترقبها عيون اهل النقد والذين بيدهم زمام الامور بما يلزم من الحذَر والسهر . ولا نجري في ذلك مجرى البشير فنذم ونقدح ونخرج عن دائرة الحشمة والأدب بل نعتمد على الحقائق التاريخية والشهادات المقررة والكتب التي ثبتت بالحجة والدليل . وننصف خصمنا فلا نغضّ الطرف عن حسناتهِ بل نبديها كما نبدي سيئاتهِ اذ القصد احقاق الحق وازهاق الباطل . وليسهل تناول ذلك على القارئ نشرع في بيان ما كانت الطغمة اليسوعية عليهِ وما صارت اليهِ ثم نستطرد الى تعاليمها السريّة والادبية والى دسائسها في البلدان الاجنبية والى ما تقرر من نفعها وضرّها وما اوجب طردها من بلادها ثم نشرع في ما كانت الجمعية الماسونية عليهِ وما صارت اليهِ ونقابل بين مبادئ الفريقين لا لبيان افضليّة الماسونية

الا تدري ان السيف ينقص قدرهُ   اذا قيل ان السيف امضى من العصا

بل ليظهر كمال فساد اليسوعية امام طهارة الماسونية ورحم الله من قال

وندمهم وبهم عرفنا فضلهُ   وبضدّها تتبين الاشياء

نقول هذا ونحن عالمون ان البشير لا يرى هذه المقالة حتى يتردى بطيلسان الدين على جري عادتهِ ثم يرقى منبر خطبتهِ ويرمينا بصواعق غضبهِ وحرمهِ ويبادر الى المشاتمة والمهاترة ثم ينقلب الى اللين والورع والدعة والاتضاع محاولاً ان يجمع في صدرهِ صفات اهل النعيم والجحيم ويتشبه بالكريم واللئيم . فما لنا الاّ ان ننبه القارئ الى سياستهِ وعدم الرد على شيء من سفاهتهِ ولكن اذا رأينا لهُ حجة باطلة ابطلناها واذا حاول نقض حقيقة اثبتناها والسلام

لو أنني خُيِّرتُ كُلَّ فضيلةٍ   ما اخترتُ غير مكارم الاخلاقِ

البينات الجليَّة

على نفاق الطغمة اليسوعية

المقالة الثانية

في ما كانت الطغمة اليسوعية عليهِ وما صارت اليهِ

" طوبى لمن كانت خاتمة عمرهِ كفاتحتهِ . وليست اعمالهُ بفاضحتهِ "
مجاني الادب لليسوعيين

وعدناك ايها القارئ اللبيب " والوعد على الحرِّ دين " ان نشرح لك حال الطغمة اليسوعية ونطلعك على زبدة اقوالها وفعالها منذ صوِّرت في الوجود الى عهدنا هذا مراعين في كلامنا عليها تمام الانصاف كما هو خليقٌ بكل من ألَّف وصنَّف من اهل الفضل والعرفان فرافقنا بحلمك ونحن نستقصي اصل اليسوعية واجمل لنا صبرك ونحن نستقري تاريخ نمائها وانقلابها عن الخير الى الشر وتحوُّلها عن الروحيات الى العالميات . فان كنتَ قد صبرتَ على مطالعة اساطير البشير المختلقة وحكاياتهِ الملفقة فاحرِ بك ان تصبر على مطالعة الحقائق النافعة والبينات اللامعة التي تجلو الحق وتنقض اركان الباطل

نشأت الطغمة اليسوعية في القرن السادس عشر ومنشئها رجل اسبانيٌّ يسمى اغناطيوس لويولا . وتاريخ نشأتها متعلق بتاريخ منشئها تعلقًا عظيمًا حتى لا تتمُّ الفائدة الاَّ بالإلمام اليهِ ولذلك ناتي على تاريخ حياتهِ بوجه الاختصار فنقول

ولد اغناطيوس هذا في مدينة كيبزكوى باسبانيا سنة ١٤٩١ ودخل بلاط الملك فرديننـد وزوجته ايزابلا وهو غلام صغير واقام فيه حتى اتمّ التاسعة والعشرين من عمره فاكتسب من التاديب والتهذيب شيئًا كثيرًا ثم خرج وتجند بين جنود بلاده لمحاربة الفرنسيس الذين كانوا يحاصرون بمبلونا عاصمة بلاد نافار. فدافع دفاع الابطال ولكنهُ جُرِح جرحًا بليغًا ووقع في يد الفرنسيس فعاملوهُ باللطف والحلم وردوهُ الى بيت ابيهِ سالمًا. فاقام في بيت ابيهِ جريحًا واشتدت عليهِ آلام الجرح فاسقمت جسمهُ حتى يئس الطبيب من شفائهِ. ويقول محبوهُ انهُ لما اوشك ان يموت ظهر لهُ بطرس وبولس في رؤيا الليل فزالت سقامهُ وابتدأ برؤهُ من تلك الساعة

وعكف في اثناء نقههِ على مطالعة سير القديسين واخبارهم وعجائبهم وما شابه من الكتب المتداولة الى هذا العهد وكان قويّ المخيلة من طبعهِ وحماسة الشباب تتسامى في صدرهِ فاهاجت عواطفهُ وزينت لهُ مخيلتهُ الزهد والتبتُّل فنذر نذرًا ان يحج الى القدس الشريف ويقضي العمر في خدمة الله والعذراء المباركة. وزاد تشبثًا في عزمهِ هذا برؤيا خيّل لهُ انهُ رآها وهي العذراء مريم ويسوع الطفل على ذراعها. فخرج من بيت ابيهِ قبل ان يتكامل نقههُ قاصدًا وفاء نذرهِ فلما صار على مقربةٍ من مدينة برشلونة بلغهُ ان الوباء قد فشا فيها فكف عن السير واقام في مدينة منريسا على تسعة اميال من برشلونه يجول من بيت الى بيت مستعطيًا ويعرّي كتفيهِ ويجلدهما ثلاثًا كل يوم ويصلي ثلاثًا ويقضي سبع ساعات في العبادة منفردًا ويعترف ويتقرب مرّة في الاسبوع حتى ضني جسمهُ وهزل بدنهُ وعاد سقمهُ وضعف عقلهُ اذ العقل الصحيح في الجسم الصحيح كما قد اقرّتهُ الاطباء وايدتهُ الحكماء. والخبير في اسرار الطبيعة البشرية وشرائع النفس الانسانية يعلم ان الانسان اذا جرى هذا المجرى فاضنى بدنهُ وانهك قواهُ واضعف عقلهُ تكاثرت هواجسهُ وتعاظمت بلابلهُ وقلاقلهُ وانقلبت راحتهُ انزعاجًا واستبدل السرور بالكدر. وهذا ما اصاب صاحبنا لويولا عقيب تعذيبهِ جسدهُ تعذيبًا لا يرضي الله ولا يمحو وزرًا

فانهُ شعر بان خطاياهُ تزداد ثقلاً عليهِ وصوت ضميرهِ يشدّد عليهِ التبكيت والتوبيخ ويسلبهُ الراحة ليلاً ونهاراً حتى اسودت الدنيا في عينيهِ وهمَّ بقذف نفسهِ من نافذة الدير الذي كان فيهِ الى اسفل ليموت وينجو من عذاب هذه الحياة . ولكن العناية الالهية لم تقدر لهُ هذه الميتة فعزم على ان يموت جوعاً فامسك عن الطعام اياماً ولم يرجع عن اصرارهِ حتى تهدده معرفهُ بامساك القربان عنهُ ان لم يتناول الطعام. فلما أكل خفّت هواجسهُ وعاد اليهِ بعض الراحة ثم عاودتهُ الهواجس فقاومها حتى تخلص منها كلها

وفي ربيع ١٥٢٣ خرج من برشلونه واتى القدس الشريف وود لو اتيح لهُ البقاء فيها لادخال المسلمين والروم الارثوذكسيين الى كنيستهِ البابوية فلم يأذن لهُ الرهبان بالاقامة فانثنى راجعاً الى بيت ابيهِ

وكان لويولا رجلاً قليل المعارف فرأى انهُ لا يتهيأ لهُ القيام بالخدمة التي نذر ان يخدمها الاَّ بعد ان يتعلم . فابدى شمائل الافاضل وعمل عملاً يمدحهُ عليهِ كل عاقل. ذلك انهُ دخل مدرسة الصبيان يتعلم معهم ولم يأنف من تحصيل المعارف مع الصغار واطاعة قوانين المدرسة كلها كواحد منهم حتى حصَّل جانباً من اللغة اللاتينية فدخل مدرسة القلعة الكلية يتعيَّش بمال المحسنين. الاَّ ان رغبتهُ في الانذار والتبشير كانت اشدَّ من رغبتهِ في التعلم فلم يصبر حتى يتمَّ علمهُ بل حفزتهُ حميتهُ على الانذار والحث والمناداة بالتوبة فكان لا يلقى احداً من تلامذة المدرسة واهالي البلدة الاَّ استوقفهُ بحرارة حبهِ وشديد انذارهِ والحَّ عليهِ باتباع مبداهِ وهو قهر الجسد واضعافهُ بالتقشفات والتعذيبات زعماً ان قهر الجسد واضناءهُ يزيدان الروح طهارةً وقداسةً . فكان لكلامهِ وقع عظيم في نفوس الناس لِما رأوا فيهِ من دلائل الغيرة والصدق والاخلاص. فلما بلغ ذلك رؤساء طائفتهِ في مدينة طليطلة (وهي المعروفة اليوم بطوليدو) حذروا ان يكون هناك دسائس او ما يوجب منازعتهم في السلطان فقبضوا عليهِ والقوهُ في السجن ستة اسابيع ولم يخرجوهُ حتى تعهَّد لهم ان لا يفتح فمهُ بالتبشير الاَّ بعد ان يتمَّ درسهُ في المدرسة الكلية . ولكنهُ استثقل المحافظة

على ما تعهدَّ لهم به فترك مدرسة القلعة وانى مع رفاقٍ له بوافقونهُ في مشربهِ الى سلمنكا فجرى لهم فيها ما جرى في القلعة فهاجرها وحدهُ وجاء باريس في منتصف الشتاء ماشياً لايدلّهُ احدٌ. وبعد ان اتمَّ ست سنوات في الدرس شرع في وفاء نذرهِ فاستمال اليهِ تسعة من ابرع تلامذة مدرستهِ احدهم فرنسيس كسافيه وهو من مشاهير اليسوعيين والآخر يعقوب لينى وسياتي ذكرهُ. فاجتمعوا في ١٥ آب ١٥٣٤ وهو يوم عيد السيدة في كنيسة مونمارتر وتناولوا القربان وتعاهدوا جميعاً فنذروا الفقر والعفة وقضاء العمر في خدمة الله وخير النفوس وانهم يذهبون للبشارة في البلاد المقدّسة وان لم يتمكنوا من ذلك يتواقعوا على اقدام البابا متبرعين بكل خدمةٍ ينتدبهم اليها بلا شروط ولا مطاليب وافترقوا على ان يلتقوا بعد ثلث سنين في شهر كانون الثاني سنة ١٥٣٧ . ولما جاء الاجل المعيَّن اجتمعوا جميعاً في مدينة ڤنيسيا بايطاليا وشرعوا في وضع نظام طغمتهم وبعث لويولا ثلثة منهم لاستمداد البركة من لدن البابا بولس الثالث وانبثَّ الباقون في مستشفيات المدينة يمرِّضون المرضى ويعتنون بالمصابين . فاكرم البابا وفدهم واجاب طلبهم واعطاهم مالاً كثيرًا من خزينتهِ فعادوا شاكرين وقاموا جميعاً من ڤنيسيا قاصدين القدس وجاءوا الى ڤيشنزا حيث عكفوا على الوعظ والبشارة فاحترمهم الشعب احتراماً عظيماً وكان الذين يتفون في الشوارع ليسمعوهم ساخرين ينقلبون مصلّين مستغفرين. ثم بدا لهم ان يعودوا ويعرضوا على البابا خدمتهم فعدلوا عن المجيء الى القدس وذهب لويولا الى رومية مع اثنين منهم وهم فابر اقدم رفاقهِ ولينى المارذ كراسمهُ وتفرّق الباقون في نواحي ايطاليا . وفيما كان لويولا ورفيقاهُ على الطريق حظي برؤيا من رؤاهُ المعهودة واذا الله الآب وبجانبهِ يسوع حامل صليباً كبيرًا فتناولهُ الله (تعالى علوًّا كبيرًا عمّا يقولهُ المنافقون) وسلمهُ ليسوع فقال لهُ يسوع اني اكون معك في رومية . فسميت هذه الطغمة بالطغمة اليسوعية من ذلك اليوم

ودخلوا على البابا فترحَّب بهم واحسن ملاطفتهم وصدَّق على اعمالهم وخرجوا فجعل لويولا يخدم في المستشفيات والبيوت والمدارس ورفيقاهُ يعلّمان في مدرسة

اللاهوت ثم بعثوا الى رفاقهم فاتوا من حيث كانوا يبشرون واجتمعوا في رومية وجددوا نذر الفقر والعفة والطاعة لاوامر البابا بلا شرطٍ ولا قيد . واعترف البابا برهبنتهم في ٢٧ ايلول سنة ١٥٤٠ وأُقيم لوبولا قائدًا عامًا لها في نيسان من السنة التالية . وكأنَّ البابا حذر عواقبها فعيَّن اولاً ان يكون عدد اعضائها محصورًا في ستين ولكن الضرورة احوجت الى رفع هذا القيد عنها فتكاثر اعضاؤُها تكاثرًا سريعًا . وعمت علاقاتهم الناس كلهم على اختلاف طبقاتهم من الرفيع الى الوضيع وسروا في البلدان مسرى الدم في الابدان . فلما شعر لو بولا بما في طغمتهِ من القوة على الامتداد في العالم ومالها من التاثير في البشر عُني ببناء منازل لها في مدن كثيرة من اسبانيا وبرتكال وفرنسا وجرمانيا وايطاليا وسيسيليا وبلاد أُخرى بعيدة حتى سواحل الهند واقام لها وكلاء يكونون واسطة الاتصال بين مركز اعمالها واطراف اقطارها . وافرغ ما في طاقتهِ متفانيًا في تعزيز اركانها منها لكًا في تعميم منافعها متأنيًا في قيادتها وتدبير امورها مداريًا الاقران محاذرًا الخصام . وشاهد ذلك انهُ لما اراد ادخالها الى فرنسا لقي من روساء الدين فيها مقاومة عنيفة لانهم استنكروا مبادئ بعض رفاقهِ وحذروا شر طغمتهِ وكتبوا فيهم ونشروا الكتابات تحذيرًا فقابلهم لوبولا بالصمت ولزم جانب الفطنة حتى دخلت طغمتهُ بلادهم واستحكمت قدمها بين رعاياهم

وتكاثرت على لوبولا الاتعاب وثقلت اعباء الطغمة على عاتقهِ فانهكت قواهُ فاقاموا لهُ معاونًا ففوَّض اليهِ اشغال الطغمة وقضى غابر العمر في تمريض المرضى حتى مات في آخر تموز سنة ١٥٥٦ ولهُ من العمر اذ ذاك خمس وستون سنة

فهذا ما كانت الطغمة اليسوعية عليهِ في بدء نشأتها ومهما يكن في مسعى منشئها من الخطط التي تستوجب الانتقاد وتفتقر الى السداد عند البسط واسهاب الكلام تفصيلاً فلا مراء في ان سعيهُ محمود اجمالاً ومقاصدهُ صالحة ونواياهُ مستقيمة لان جلَّ قصدهِ من انشاء هذه الطغمة كان عمل الخير وبث روح الصلاح بحسب ما يراهُ عقلهُ ويستحسنهُ ذوقهُ . ومال آمالهِ كان الى ايقاظ الناس من سِنَة غفلاتهم

والانتباه الى صالح ارواحهم والتأهب لملاقاة داعي المنون واطّراح النعيم الزائل للتمتع بالنعيم الدائم . وكان تعليمهُ بالروحيات وتأديبهُ بالروحيات ومطمح ابصارهِ الى الروحيات تباعدًا عن العالميات واكتفاء بالضروري من الزمنيات . ولو سلمت عاقبة سعيهِ من الفساد لكان سعيًا مشكورًا — يقيم للانسانية فئة تخدم العاجز والمسكين وتربي الاطفال وتهذّب العيال وتخفف الكرب والاحزان وتجبر القلب الكسير وترقي اسباب السلم والوفاق . وهي فئة لا تقوم الاَّ باحسن مسعى واخلص نيَّة واحمد الوسائط . ولذلك تشكرهُ الانسانيَّة بلسان كل فاضل وتودُّ لو كانت خاتمة مسعاهُ كفاتحتهِ وتتأسف ان دبَّ اليهِ الفساد وزرع ابليسُ فيهِ زوان الطمع والمكر والخبث والغدر وحوَّل غاياتهِ الروحيَّة الى غايات خسيسةٍ زمنيَّة ومزج وسائطهُ النافعة الحميدة بوسائط مضرَّة ذميمة وابدل بساطتهُ بالمكر والتحيُّل وجعل جوهرهُ الاثم والفساد واعراضهُ الصلاح ونفع العباد . فقد امسى مسعىً يسعى فيهِ ذووهُ الى الشر والمنكرات ويخفونها تحت طيّ الصلاح والمبرَّات وهذا ما صارت اليهِ الطغمة اليسوعية بعد ان كانت على ما كانت عليهِ نبسطهُ امامك ايها اللبيب موجزًا تخفيفًا للكرب التي تعتري نفس كل حرٍّ صالح حين يرى الشرَّ يتغلَّب على الخير وزرع الصلاح يخنقهُ شوك الاثم والطلاح

وبعد موت لويولا انتخبوا احد انصارهِ وهو يعقوب ليني قائدًا عامًّا عوضًا عنهُ . وكان ليني هذا من الذين قد تأصَّلت في نفوسهم مبادىءُ اليسوعيين الحاليَّة فلما استوى على العرش استبدَّ وادَّعى انهُ مطلق السلطان وان لهُ سجونًا يعاقب فيها العصاة المعاندين في الروحيَّات معتمدًا على الوسائط الزمنية والعقاب الزمني. فكانت دعواهُ هذه اوَّل جرثوم نما من جراثيم الشر بين زرع الخير فهبط باليسوعية من عيون الناس هبوطًا عظيمًا . لانهُ استبدل الوسائط الروحيَّة التي كانت فخر اليسوعية في ايام لويولا بالوسائط الزمنية وترك البساطة الروحيَّة التي اعتصم بها لويولا واعتمد على السياسة البشرية والنظامات العالميَّة . وزاد ليني في الطنبور نغمةً انهُ جعل اجلَّ شرط في شروط اليسوعية تحميل اعضائها حملاً

لا تطيقهُ النفس الأبيّة ولا تحتملهُ الروح التي نفخها الباري تعالى في انف الجبلة البشرية فصار بها الانسان نفساً حية على صورة الله ومثالهِ في البر والقداسة وحرية الارادة . ألا وهو ان كل عضوٍ يخضع ارادته لارادة رئيسهِ ويسلمهُ جسدهُ وعقلهُ وضميرهُ وكل ما يُعَدُّ بهِ الانسان انساناً بحيث يكون المرؤوس آلة في يدِ رئيسهِ يدبرها كيف شاء فان اراد الشر عملت شراً وان اراد الخير عملت خيراً ولا حق لها ان تخالف قولاً او تأبى ان تعمل عملاً اذ لا حريّة لها ولا استقلال في شخصها وانما هي لرئيسها خاضعة لسلطانهِ المطلق

فاذا امعن اللبيب النظر في هذا الشرط الفظيع الذي يجرد الانسان عن الانسانية بتعريتهِ عن شخصيتهِ تبيّن لهُ ان الطغمة اليسوعية كلها جسم واحدٌ اذا جاءت منكراً في بلاد كان ذلك باتفاقها ورضاها في جميع البلدان واذا علم بعض اعضائها علماً فاسداً علم باتفاق كل الاعضاء ورضاهم اذ هم آلات بعضها في يد بعضٍ فيعملون لغاية واحدة . والظاهر ان اليسوعيَّة تحسب اعضاء الماسونية آلات مثل اعضائها فتختلق على الواحد منهم اثماً ثم تتهم كل الجمعية الماسونية بهِ فتطالبهم بما تقترفهُ على واحدٍ منهم . وهذه حيلة يسوعية وتهمة يعلم العاقل انها لا تصدق على الماسونية وانما تدلُّ على صدق ما قلناهُ من ان اعضاء اليسوعية آلات متحركة في ايدي روُسائها . واما اعضاء الماسونيَّة فجميعهم اعضاء احرار يتمتعون بتمام الحرية الشخصيَّة والاستقلال الادبي الذي منحهُ الباري تعالى لكل نفسٍ خالدة ويفتخرون بالسواء ويعتصمون بالحرية وينادون بالاخاء . فاذا اشتهر فيهم شهير وحاز منصباً رفيعاً بذل الجهد لانهاض الآخرين حتى ينتهض البشر جميعاً . واذا ساءت آداب واحدٍ منهم (ولا عجب فقد اختار المسيح اثني عشر تلميذاً وواحد منهم شيطان) ساءهم امرهُ وجدُّوا في اصلاحهِ ولكنهم لم يكونوا مطالبين باثمهِ . وفي هذا القدر كفاية لنقض كل ما يستشهد به اليسوعيون من الشواهد المختلق اكثرها زاعمين انها تقدح في الجمعية الماسونية وحسن آدابها

وخلف لبني قائدٌ ثالث يسمّى فرنسيس بورجيا وكان رجلاً صارماً جداً فلما

رأى ان اعتبار طغمتهِ قد انحطَّ في عيون الناس وان اعضاءها حادوا عن جادَّة الفضيلة والتقوى فنفر الناس منهم حاول استرجاع اعتبارهم باصلاح ظواهر الطغمة متغاضياً عن اصلاح داخلها فالزم اعضاءها بالتظاهر بالرزانة والوقار لاكتساب الاحترام والاعتبار فلا يقال ان الطغمة اليسوعية لاتراعي ما تجب مراعاتهُ على كل رهبنةٍ دينية . وكان مع مزيد حرصهِ على اصلاح ظواهر اليسوعية مقداماً في الدسائس السياسية ومحركاً من كبار المحركين الذين اثاروا الفتنة الفرنسية التي افضت الى مذبحة مار برثولماوس الذريعة فقد قويت عليهِ التهم بانهُ هو الذي اصلى نارها واثار غبارها ولكن قصف الله عمرهُ قبل حدوثها بثلاثة اسابيع فلم تكتحل عينهُ برؤْيتها ولم يشفَ غليلهُ بما اهريق فيها من دماء الابرياء

وخلفهُ رجلٌ يقال لهُ مَرْكوِبْران وكانت ابصار اليسوعيةَّ قد طمحت الى الخيرات العالميَّة فاشتدَّ طمعُها في ايامهِ وحوَّلت عنايتها الى جمع الاموال وتوفير اسباب السؤدد والعز العالي واخضاع ما سواها لسلطانها والترفع على اقرانها فشرعت في المكايد السياسية . وكان اول تداخلها في السياسة في مملكة اسوج فالقت فيها عصا الشقاق ولكن كان الاسوجيون على جانب عظيم من النباهة والذكاء فكشفوا مكايدها ودرأُوا عنهم شرورها فرجعت اليسوعية عنهم بخفي حنين بعد ان افرغت جعبة حيلها في ارضهم ولم تفلح . ولما كانت سنن الآداب تقتضي ان يكون الانسان مستقيماً سيرةً وسريرةً وان يتبع صوت ضميرهِ الصالح سرّاً وجهراً واغراض اليسوعية تقتضي مخالفة السيرة السريرة ومناقضة السر للجهر استباحوا في ايام مركوبران هذا تحويل السنن الادبية عمّا وضعتها عليهِ العزَّة الالهية الى ما تستنبطهُ الاذهان الشيطانية من المعاني والمقاصد فاحلُّوا لانفسهم كل محرَّم تحت طيّ قولهم "ان الغاية تبرّر الواسطة" بحيث صارت سننهم الادبية مناقضة للوصايا العشر الالهية . غير انَّا لانطيل الكلام الآن في ذلك لانَّا افردنا لهُ مقالة تالية فيجدهُ القارئُ مفصَّلاً هناك على قدر ما يسمح لنا ضيق المقام

فهذا ما صارت اليهِ الطغمة اليسوعية لعهد قريب من نشأتها وسنجيء عليك في

الكلام عن فساد آدابها وهول مكائدها ما يريك ان الشيطان غانها فاز باغنامها فوزًا عظيمًا وانه لم يجد اصلح منها لانفاذ مقاصده في الارض منذ دخل الحيّة في عدن الى يوم وفاة لويولا منشئها في اوربا . الأ انّا كما اشرنا الى فساد آدابها في هذه المقالة تتبع سياق الكلام فنورد طرفًا ممّا جرى لها بجريرة دسائسها السياسية تاركين التفصيل في ذلك الى مقالة أُخرى نفردها له

قلنا ان اليسوعيين استصعبوا الدخول الى فرنسا لِما لقوا من مقاومة رؤساء الدين فيها . ولكنهم لمّا رسخت قدمهم هناك ونزعت نفسهم الى المكائد شرعوا يضرمون نيران البغض والعداوة بين الكاثوليك والهوكنوط زاعمين ان هذه المفسدة مبررة في عيون الله والصالحين لانها تأول الى مجد الله الاعظم طبقًا لمبداهم الفاسد وهو "ان الغاية تبرّر الواسطة" كما يفعلون في بلادنا باهاجة البغض والعداوة بين الطوائف الكاثوليكية بعضها مع بعض وبينها وبين بقية الطوائف وهو امر واضح لا يحتاج الى زيادة ايضاح . فحدث هناك ما يُتوقع حدوثه حيثما حلّوا من المذابح الفظيعة التي تقشعرّ منها الابدان والتي اضحت عارًا على المتدينين بالديانة المسيحية . فلما فرغوا من الهوكنوط انقضّوا على الكاثوليك انفسهم حتى استثقل رؤساؤهم الوطأة اليسوعية وأنّوا من جورهم كما يئن غيرهم على مسمع منّا وفي التلميح غنى عن التصريح الآن ولكنه امر مشهور تعرفه الكبار والصغار . فواسفاه ان يذلّ اهل بلادنا لاجانب مأجورين قد نفيأتهم بلادهم من فمها لان نفسها عافتهم اذ لا يحتملهم حرٌّ ولا يصبر على مظالمهم ذو المروّة والحمية والنخوة الادبية . فثارت بهم ندوة اللاهوت في ساربون وطلبت طردهم من البلاد بلسان واحد فطردهم الملك هنري الرابع سنة ١٥٩٤ ولكنهم عادوا فرجعوا سنة ١٦٠٢ وانتشروا على البلاد انتشار الجراد يجاهدون ويجاهرون في ابطال حرية الكنائس الكاثوليكية الفرنسية ونشر مبادئهم وتعاليمهم اليسوعية . فانبرى لهم جماعة من مشاهير علماء الكاثوليك اتباع جنسينيوس المتابع اوغسطينس وافحموهم بقوة القياس والبرهان وسدّوا عليهم ابواب الاحتجاج والدفاع وكشفوا دسائسهم وازاحوا السترة عن

عيوبهم وفساد آدابهم حتى نقضوا اركان اليسوعية في ذلك الزمان وجعلوا اسمها اضحوكةً بين الملا فاشتهر امرهم من تلك الايام . و يوافق على ذلك كل من لهُ بتاريخ اليسوعية ادنى المام وكل من وقف على طرف من كتابات فريد عصرهِ ونابغة دهرهِ العالم الشهير والفيلسوف الخطير بليز باسكّال الكاثوليكي الصادق الحرية والوطنية وكذلك ابن طريقتهِ كوسْنل الشهير وكثيرون غيرهما . ولما عجز اليسوعيون عن موافقتهم في البحث والجدال اهاجوا عليهم الفتن واخرجوهم من بلادهم بحد السيف . وهي خطة العاجز اللئيم الذي يغدر بخصمهِ غدرًا لعلمهِ انهُ دونهُ قوةً وقدرًا فيحذر ملاقاتهُ وجهًا لوجهٍ ويأخذهُ بالخدعة والمكر. هذا وانًا نحثُّ كل من يحب ان يعرف حقيقة اليسوعيَّة على قراءة رسائل العلامة باسكال [1] فقد حوت من الحقائق والبراهين ما يبهر العقول و ياخذ بمجامع القلوب وهي سلسة العبارة لطيفة الاسلوب محكمة الانتقاد رقيقة الهزل يسهل على قارئها فهم اعمال اليسوعية في هذه البلاد وتحقق ما قلناهُ عن وجوب الحذر من غدرهم والخوف من كيدهم والتيقظ على ما يبثونهُ في نفوس ابناء الوطن مما لا تحمد عواقبهُ ولا يبعد ان يجلب عليهِ البوار والدمار

ولمَّا تفاقم شرُّ اليسوعيين في فرنسا قام الفرنسيس عليهم فطردوهم مرة ثانيةً برضى الملك لويس الخامس عشر سنة ١٧٦٤ . وحذا حذوهم غيرهم من الامم الكاثوليكيَّة فطردوهم من اسبانيا وسيسيليا سنة ١٧٦٧ ومن مالطة وبرما سنة ١٧٦٨ وطردهم البابا اكليمنضس الرابع عشر من بلادهِ والغى رهبنتهم الغاء تامًّا بمنشور اصدرهُ سنة ١٧٧٣ فضاقت عليهم الارض بما رحبت وفروا الى مملكة بروسيا وهي مملكة بروتستانيَّة طالما اعملوا على اهلها المكائد والحيل وحرَّقوا عليها الاسنان. وكان ملكها يومئذٍ فردريك الكبير فاباح لهم الدخول الى مملكتهِ طمعًا في ان يتخذهم جواسيس لقضاء غايتهِ السياسيَّة فالحَّ عليهِ البابا بيوس السادس الحاحًا شديدًا بان يطردهم من مملكتهِ فلا يبقى لهم ملجأ فتضمحلّ طغمتهم فابى ولم يعترضهم في شيءٍ

[1] Lettres Provinciales de Blaise Pascal.

غير ابدال اثوابهم بالاثواب المعتادة . فلمّا رأى اليسوعيون منهُ الملاطفة حسبوا انهُ يستحسن مبادئهم فرفعوا اليهِ معروضًا يرجونهُ ان يشهر حمايتهُ لهم فيعرف الملا انهُ حامية طغمتهم وانهم ملتجئون اليهِ فابى واجابهم بما يوافق مشربهم قائلاً " ليفعل البابا ما شاء من الاصلاح في مملكتهِ بدون ان يتداخل هرطوقي مثلي في مسألتهِ ".

وفرّ اليسوعيون ايضًا من وجه البابا الى بلاد الروس واستجاروا بكاترين الثانية فاجارتهم رغبةً في ان تستخدمهم لحاجاتها السياسية ولكنهم لم يطيلوا الاقامة في بلادها حتى صاروا يلقون الشقاق ويستميلون الناس الى مبادئهم ومذهبهم تقوية لحزبهم هناك . فلمّا احسّ الروس بذلك علموا انهم قد صنعوا جميلاً مع غير اهلهِ فطردوهم ولسان حالهم يقول

تخذناكم درعًا وترسًا لتدفعوا   نبالَ العدى عني فكنتم نصالَها

كما طردهم بسمرك من بروسيا منذ عهد غير بعيد وهو يتمثل بقول القائل

ومَن يجعلِ المعروفَ في غيرِ اهلهِ   يَكُنْ حمدُهُ ذمًّا عليهِ ويندمِ

وممّا هو خليق بالذكر انهُ لما طردهم البابا وغيرهُ من الدول الكاثوليكية كانت قيمة املاكهم في فرنسا ٥٨ مليون فرنك وفي اسبانيا ٨٠ مليون فرنك وفي النمسا ١٢٥ مليون فرنك وفي ايطاليا ٢٦٢ مليون فرنك وفي سائر ممالك اوربا ٥٢٦ مليون فرنك فكانت قيمة املاكهم كلها تزيد على ٤٠٠ مليون ليرة انكليزية . وقد مرّ عليك ان اليسوعية رهبنة نذرت الفقر والعفة والطاعة للبابا بلا شرط ولا قيد فانظر الى هذا الفقر المدقع ! واعجب من قناعة ! هذه الطغمة التي جمعت كلّ ما جمعت من المال في اقلّ من ٢٢٥ سنة بل اعجب من بساطة الذين يصدقونها اليوم وقد اشتهر نكثها لوعدها وكذبها في قولها وغدرها بمن يركن اليها اشتهار الشمس في رائعة النهار . هذه هي الطغمة التي نذرت الفقر . هذه هي الطغمة التي نذرت الطاعة العمياء لاوامر البابا . فلو كانت صادقة لرضخت لقول البابا اكليمنضس الرابع عشر حين الغاها وسلّمت بعصمتهِ عن الغلط حين حكم بفسادها ومكرها وشرّها . ولو كانت على مبدإٍ من الحق والدين لم تلتجئ الى بلاد الروم

الارثوذكسيين وممالك الانجيليين الذين تعدُّهم كفرة متبدعين وهراطقة هالكين. ولو كانت تعتقد كما تدَّعي ان البابا نائب خليفة بطرس وبولس وراس الكنيسة لاطاعت حكم اكليمنضس الرابع عشر وبيوس السادس بعدهُ ولم تستغث بفردريك الكبير (وهي تقول اليوم انهُ كافرٌ شهير) ولم تتقرَّب اليهِ ولم تطلب حمايتهُ لها ورئاستهُ عليها وتترك رئاسة البابا رئيس الكنيسة الكاثوليكية وولي امرها. فانظر الى تلاعب اليسوعيين في الدين وتدبَّر ما عندهم من الحِيَل اذا نزلت بهم النوازل والمُلِمَّات. فلو كان اليسوعيون على شيءٍ من الدين لما فاقوا في الغواية شرَّ الكافرين واخبث الدهاة الماكرين . هذا لعمركم النفاق بعينهِ فقد قال الحكماء ان علامات المنافق ثلاث اذا حدَّث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان

ولنرجع الى ما كنَّا عليهِ فنقول ان اليسوعيين حنثوا في قسمهم ولم يطيعوا البابا حتى قام بيوس السابع فنقض ما ابرمهُ البابا اكليمنضوس الرابع عشر وما وافق عليهِ البابا بيوس السادس وردَّ الطغمةَ اليسوعية في ١٧ آب سنة ١٨١٤ فعادوا الى اوربا وشدُّوا الحملة على فرنسا وحاولوا استلام ازمَّة مدارسها حتى استثقل الشعب وطأتهم فطردوهم ثالثةً سنة ١٨٤٥ ثم عادوا اليها ولم يبطل امرهم حتى جعلوا يمرغون في حمأتهم ويقلقون راحة العباد بقلاقلهم ودسائسهم فطردتهم الجمهورية الفرنسية سنة ١٨٨٠ وكان من امرهم ما كان كما لا يزال حديثًا في الاذهان . ومن لطيف ما يذكر في هذا الشان ان الجمهورية امهلت اليسوعيين ثلاثة اشهر في الخروج من فرنسا فان خرجوا والاَّ طردتهم طردًا . فاخرج اليسوعيون كل شبانهم والاقوياء الابدان منهم الذين لا ترقُّ لهم القلوب اذا طردوا كرهًا وابقوا الطاعنين في السن الذين يزيدهم الشيب وقارًا وهيبةً حتى اذا رآهم الناس مطرودين رقوا لهم وثاروا بالجمهورية . فلما جاء الاجل المعين في حزيران اخذت الحكومة الاحتياطات اللازمة تحسبًا من مكروهٍ يقع لعلمها ان اليسوعيين لا يتركون مكيدة يستطيعونها فطردت اولئك الشيوخ ولم يقع احدٌ فيهِ الاَّ شخص او شخصان اودعا السجن وكان ذلك خاتمة مكائد اليسوعيين في فرنسا

على ان الدولة الفرنسية لا تجهل طول باع اليسوعيين في الدسائس السياسية ولا تعاديهم خارج بلادها لانها متى امنت شرهم لا تأنف ان تضمد جراحهم بالما وحمايتها وتقوي يدهم في بلاد غيرها وتوسع لهم الرزق وتكثر المدد!

واليسوعيون كما علمت لا يتباطأون عن اجراء كل ما لهم فيه مصلحة لانهم يدّعون انّ مصلحتهم هي مجد الله الاعظم (نستغفر الله عمّا يقوله الكافرون) فيبررون كل واسطة مهما ساءت انفاذاً لمقاصدهم. فاللبيب من لا يعميه الغرض عن رؤية الواقع والدلائل كثيرة واضحة. فتنبّه

تمّت المقالة الثانية ويليها المقالة الثالثة في تعاليم اليسوعيين السريّة

1794

